

الإعلام الجديد ودوره في الحراك السياسي في المنطقة العربية

The new Media and its Role in The Political movement In The Arab region

بعيطيش يوسف

جامعة الجلفة

ملخص:

يقول خبير الإعلام اللبناني أستاذ الإعلام في الجامعة اللبنانية نسيم خوري "بأن العالم اليوم يعيش المرحلة الأخيرة، التي يبدو الصراع فيها محسوما لصالح الإعلام الموجه".

فإلى وقت قريب، اقتصر آراء الخبراء والباحثين المتداولة حول ما أثير عن الإمكانيات الواعدة للوسائط الحديثة عبر الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي على التنظير، بما في ذلك قدرتها على التأثير على نماذج الحوكمة التشاركية، والمشاركة المدنية الشعبية، وإنشاء قوى مدنية شعبية جديدة، وبعد مضي بضعة أشهر من عام 2011 ظهرت دلائل قوية تؤكد إمكانية تحول تلك النظريات إلى وقائع، فقد نجحت أدوات الإعلام الاجتماعي في الوقت الراهن في التعبئة والتنظيم بين القيادات في الحملات الاحتجاجية وأدت دورا مركزيا في مواجهة السلطة وإحداث تغييرات اجتماعية وحتى سياسية في المنظومة المجتمعية ككل بما في ذلك إسقاط أنظمة وإنشاء أنظمة بديلة.

Abstract:

The libanaises professor of media in the Lebanese university Nassim Khouri Said, "the world today is living the last phase that the controversy is determined for the benefit of the guided media".

Not so long ago, opinions of experts and researchers were confined on around what was mentioned about the promising potential of modern and new media through the internet and social communication networking on Contemplating , including its Capability to influence the participating governing models ,and the popular Civil participation plus Creating new popular Civil forces.

After few months passing from 2011, Some strong evidence appeared Confirming the possible turning of these theories into reality.

Indeed , those social media tools succeeded in the time being in mobilizing and organizing between leaders in protesting campaigns , and played a central role in confronting authorities and make social differences and erea political in social organizations at large , including overthrowing systems and creating substututional ones.

مقدمة:

ساهمت التطورات المتلاحقة في شبكة الإنترنت في إيجاد شكل جديد من الإعلام، تعددت تصنيفاته ومسمياته لدى المهتمين والمختصين الإعلاميين، الذي أطلقوا عليه الإعلام الجديد، والإعلام البديل، الذي يشمل الشبكات الإجتماعية الافتراضية، والمدونات، والمنديات الإلكترونية والمجموعات البريدية، وغيرها من الأشكال والأنواع المتعددة.

ووفقاً لذلك، فقد أنهت ثورة الاتصال الجديدة عدداً من المفاهيم كهرمية الاتصال، وحارس البوابة، وأحادية مصدر الرسالة، كما استحدثت عدداً من المفاهيم الاتصالية الجديدة مثل: الوسائط الرقمية، والمجتمعات الافتراضية، والتشبيك الاجتماعي، وغيرها من المفاهيم

والمصطلحات الأخرى، والتي تدل في مجملها على مدى الوفرة والتنوع في وسائل الاتصال الجديدة.

وتكمن إيجابيات الإعلام الجديد في سرعة الاتصال، والقيمة المعلوماتية، وضمان وصولها، وتحقيق التفاعل معها، وليس كونه إعلاماً مرسلًا من جانب واحد، مما خلق مساواة داخل المجتمع في الاتصال .

فقد أخذت شعبية الإعلام الجديد أو ما يعرف بوسائل الإعلام الاجتماعي تتزايد خلال الربع الأول من العام 2011 ، ووفر بذلك فتحة ثوريا نقل الإعلام إلى آفاق غير مسبقة ، وأعطى مستخدميه فرصا كبرى للتأثير والانتقال عبر الحدود بلا قيود ولا رقابة إلا بشكل نسبي ومحدود وتغيرت نظريات الإعلام والاتصال التقليدية المعروفة بشكل لافت.

الإشكالية: سنحاول من خلال هذه الورقة السريعة والمختصرة الإجابة عن الإشكالية التالية:

ما هي فرص نجاح الإعلام الجديد في تحريك المنطقة العربية نحو التحول

السياسي؟

ووفقا لذلك تكون الدراسة وفق المحاور التالية:

1. عولمة الإعلام...آلة العصر الجديدة.
2. مفهوم الإعلام الجديد.
3. خصائص الإعلام الجديد.
4. دور الإعلام الجديد في الحراك السياسي في الوطن العربي.
5. خلاصة واستنتاجات.

أولاً: عولمة الإعلام...آلة العصر الجديدة:

إن الجهاز الإعلامي بوجه عام ينطوي ، في جوانبه التكنولوجية على الميل إلى توليد السلبية، فليس هناك ما هو أسهل من إدارة مفاتيح التشغيل وترك الصور والأفكار تشق طريقها إلى العقل، دون وساطة، إن تضليل عقول البشر على حد قول باولو فريير ((أداة للقهر)) ، فهو يمثل إحدى الأدوات التي تسعى النخبة من خلالها لتطويع الجماهير لأهدافها الخاصة.

إذ تحتل معركة الأفكار موقعا متقدما في الاستراتيجية الأمريكية في حقبة بوش، وهي في الحقيقة مستوحاة من الحقل العسكري وتم استخدامها طيلة الحرب الباردة في مواجهة الخطر الشيوعي، وعن طريق تحسين صورة أمريكا خاصة في العالم الإسلامي باستخدام أدوات الدبلوماسية وبالموازاة مع ذلك بناء المؤسسات وضح الأموال، ضمن هذا السياق تم استحداث مهمة مساعد وزير الخارجية للدبلوماسية والشؤون العامة، لتحسين صورة أمريكا، إذ تعتبر الدبلوماسية والإعلام أهم أدوات (القوة الناعمة)* التي تستخدمها الإدارات الأمريكية المتعاقبة لمحاصرة حركات المقاومة المشروعة ووصفها بالإرهاب.(1)

ويذهب عدد كبير من الباحثين إلى أن وسائل الإعلام تستطيع خلق آراء عن الموضوعات الجديدة، لأن درجة وضوح الموضوع تتوقف على مدى الترويج لها إعلاميا، فيقول (غوبلز) وزير الدعاية الألماني في عهد هتلر "أن من يقول الكلمة الأولى للعالم هو على حق دائما" فهي تمارس الدور الرئيسي في خلق الصور الذهنية في أذهان الجماهير.

مما لا شك فيه أن الإعلام بات آلة العصر التي تدار بها عجلة العولمة، ومازال التطور التكنولوجي في الاتصال والتصوير والإخراج يكتب فصولا جديدة عن كيفية تسخير هذه الآلة التي أبدع الخبراء في تشكيلاتها واستخداماتها..

وفي نفس السياق، طرح باحثان مستقبليان أميركيان هما جون أركيلا ودايفيد روزنفلت في كتابهما المعنون ((انبثاق سياسة المعرفة)) الصادر عام 1999 نظرية ((الحرب المعرفية

الافتراضية)) والمفهوم الرئيسي فيها أن حروب المستقبل يجب أن تواكب التحولات الاجتماعية العميقة في بنى المجتمعات، وعليه فإن إدارتها الرئيسية ستكون متمثلة بالإعلام وليس بالأسلحة التقليدية أو بأسلحة الدمار الشامل أو حتى بالأسلحة الذكية، فحروب الغد لا يكسبها من يملك القنبلة الأكبر بل يربحها ذلك الذي يخبر الرسالة (الرواية) الفضلى! بهذا يطرح الكتاب وبجراحة مفهوماً جديداً للقوة، إذ يتنبأ بتحول القوة من عسكرية (أسلحة وعتاد) إلى إعلامية (علاقات إنسانية).⁽²⁾

وعلى ذلك يرى (محمد شومان) أن هذه الآلية للعولمة تطرح إشكاليات تدور في مجملها حول قدرة الدولة على التحكم التدفقات الإعلامية الوافدة وكذلك إمكانية تحقيق السيادة الإعلامية في ظل عالم تتسع فيه سطوة الإعلام التي تهدد مجموعة القيم والعناصر الخاصة بشعوب وقوميات لها خصوصياتها، من هنا تبرز العولمة كظاهرة كلية مسيطرة على جميع الميادين.⁽³⁾

وعليه يجب تطوير الإعلام العربي وفق سياسة إعلامية عربية موحدة، تشرف عليها هيئات فكرية واعية قادرة على تشخيص الواقع العربي، مع ضرورة إعادة صياغة دور الإعلام العربي وإذابة الحواجز الفكرية، مع مراعات الخصوصية العربية من تأثيرات عولمة الإعلام.

وتشير الدكتورة (عواطف عبد الرحمن) في مؤلفها "الإعلام العربي وقضايا العولمة" إلى أهم وظائف الإعلام العولمي وهي⁽⁴⁾ :

أولاً : في ظل صعود الإعلام السمعي والبصري أصبح هو المؤسسة التربوية والتعليمية الجديدة التي حلت مكان الأسرة والمدرسة والتي تقوم بدور أساسي في تلقين النشء والأجيال الجديدة المنظومة المعرفية المنزوعة من سياقها التاريخي للقيم السلوكية ذات النزعة الاستهلاكية.

ثانياً : تقوم وسائل الإعلام باستقطاب النخب المثقفة للترويج لفكر العولمة وأيديولوجيتها عبر الحوارات التلفزيونية والمقالات والمؤتمرات محاولة منها تهميش الثقافات والسياسات الأخرى.

ثالثاً : تشير الدراسات إلى استعادة العولمة من استمرار النظام الإعلامي العالمي الراهن الذي يتسم بالخلل وأوجه التفاوت الخطيرة سواء على المستويات المحلية والعالمية والتي تتمثل في الإنسياب غير المتوازن للمعلومات مع رسوخ الاتجاه الرأسي الأحادي الجانب من الشمال إلى الجنوب من المراكز إلى الأطراف ومن الحكومات إلى الأفراد.

رابعاً : يقوم الإعلام بدور أساسي في ترويج السلع والخدمات التي تقدمها السوق العالمية من خلال الإعلانات التي تتضمن محتوياتها قيماً وأنماطاً للسلوك الإستهلاكي تستهدف الدعاية للسلع الأجنبية مما يلحق الضرر بالاقتصاديات المحلية .

خامساً : تروج وسائل الإعلام العولمية حول ما يسمى بالقرية الاتصالية باعتبارها أبرز ثمار التكنولوجيا المعاصرة والذي يعنى في جوهره إحاطة الجماهير في كافة أنحاء المعمورة بكل ما يدور في العالم من أحداث وأفكار وصراعات وإنجازات بشرية.

ثانياً: مفهوم الإعلام الجديد:

تعود جذور المشهد الإتصالي الذي نشهده اليوم ونعيش عدداً من تجلياته إلى سلسلة من التطورات التقنية المتلاحقة، بدأت في وقت مبكر من حقبة السبعينيات من القرن الماضي، وخاصة منها تلك التي تمت على صعيد شبكة الإنترنت، ففي عام (1972) دخلت هذه الشبكة عالم البث المتاح للجميع، وبدأ العمل على تطوير تقنية تسمح باستخدامها على نطاق تجاري، ومعها بدأ الطابع التواصلي للإعلام كحقل معرفي وإجتماعي جديد، وتطور حتى أصبح اليوم أحد أهم مجالات العلوم الإنسانية.

ويطلق مصطلح الإعلام الجديد على تكنولوجيات الإتصال الجديدة وثورة المعلومات التي ظهرت في الجزء الأخير من القرن العشرين، كما أصبح لشيوع وسائط الإعلام الجديد واستهلاكها من جانب الجمهور، علاقة غير قابلة للشك في ميلاد عصر إتصالي جديد أطلق عليه البعض عدداً من المسميات مثل : العالم الافتراضي، الإتصال الرقمي ... وغيرها من التعبيرات، والتي تعبر عن ظاهرة إنسانية تقنية واحدة، فالإعلام الجديد ساهم في إعادة تشكيل الأنماط التواصلية التقليدية القديمة القائمة على احتكار النخب السياسية والثقافية لوسائط الإعلام وباقي وسائل التعبير في الفضاء العام.

ومنذ أواخر عام (2005) دخلت شبكة الإنترنت مرحلة جديدة، أمكن فيها لكل متصفحها أن يكونوا بمثابة مرسلين للمادة الإعلامية ومستقبلين لها في آن واحد. وبفضل هذا كله أصبحت هناك مواقع تتيح لزوار الشبكة ومتصفحها تكوين حسابات، يمكنهم من خلالها تحميل ملفات الصوت والصورة والنصوص، وأن يتحكموا في عملية مشاهدة هذا المحتوى، من خلال إتاحتها على نطاق ضيق، أو جعله عاماً للجميع. (5)

فالإنترنت لم يسهل فقط عملية الوصول إلى المعلومات والأخبار والبيانات؛ بل أتاح الفرصة للمستخدم لإنتاج المضامين والرسائل والبيانات من خلال أشكال تعبيرية مختلفة، كمنتديات الحوار والصفحات الشخصية، وغرف الدردشة، والمدونات، والحسابات الخاصة في مواقع التواصل الاجتماعي، وغير ذلك من أشكال إنتاج المضامين الأخرى، وطرق التعبير والمشاركات المختلفة.

فالإعلام الجديد يوفر وسائل وقنوات جديدة للاتصال والتواصل، ويتيح منابر جديدة للنقاش والحوار، مما فتح المجال أمام أفراد المجتمع لممارسة مختلف أنواع الإتصالات بواسطة شبكة الإنترنت، للخروج من وضعية عدم التواصل وعدم الحوار، إلى التواصل والحوار، ومن الإعلام والاتصال الذي يتم في اتجاه واحد، إلى الإعلام الأفقي والاتصال في جميع الاتجاهات .

ويلجأ الأفراد للتواصل مع الأهل والأقارب والأصدقاء من خلال ما يسمى بمواقع الشبكات الإجتماعية، التي تُعد وسيلة جديدة لتبادل الآراء والأفكار، وحشد المناصرة والتأييد لقضية من القضايا، وتكوين الوعي حول القضايا المختلفة، أو تدعيم القائم منها سلفاً، من خلال المواد المنتجة باستخدام الوسائط المتعددة، وذلك عوضاً عن المنتديات الإلكترونية التي يقوم على إدارتها أشخاص يقومون بالدور التقليدي لـ "حارس البوابة"، والمجموعات البريدية محدودة الفاعلية، أو المواقع المجانية المتخمة بالإعلانات، التي تعرضها المواقع الموفرة لهذه الخدمة، حيث وجدت المدونات طريقها إلى شبكة الإنترنت، ومواقع الفيديو، ومجموعات التواصل الاجتماعي. فمرتادو الشبكات الاجتماعية ينتمون إلى مشارب مختلفة، ولهم اهتمامات واحتياجات مختلفة، وبعضهم يرى أن هذه الاهتمامات والاحتياجات لا تجد من وسائل الإعلام والإتصال الإهتمام اللائق لتلبيتها بصورة كافية، فضلاً عن عدم تغطية هذه الوسائل لجميع الأنشطة التي يقومون بها، مما دفع هؤلاء الأفراد لتقديم محتوى يخصهم وحدهم، وبما يمكنهم من نقله لغيرهم، معبرين من خلاله عن اهتماماتهم وآرائهم ومواقفهم المتفاوتة، وعلى نحو يفي بكافة احتياجاتهم الاتصالية، ويشبع رغباتهم بوجه عام.

ثالثاً: خصائص الإعلام الجديد:

وتبعاً لهذه المفاهيم يمكن القول إن للإعلام الجديد عدة خصائص، نوردتها كآتي:

إن التغيرات الحالية التي تعيشها تكنولوجيا الإعلام هي التغيرات الرئيسية الرابعة من نوعها في العصر الحديث وذلك عقب اختراع الطباعة وبشكل رئيسي الطباعة البخارية السريعة والتي جعلت توزيع الصحف والمجلات والكتب للعموم حقيقة واقعة (1833) ومن بعدها اختراع الراديو (1920) ثم التلفزيون (1939)، التغير الذي نشهده اليوم يعتمد على استخدام الكمبيوتر في إنتاج وتخزين وتوزيع المعلومات والتسلية، هذه الخاصية وهي عملية توفير مصادر المعلومات والتسلية للعموم الناس بشكل ميسر وبأسعار منخفضة هي في الواقع خاصية مشتركة بين الإعلاميين القديم والجديد، الفرق هو أن الإعلام الجديد قادر على إضافة خاصية جديدة لا يوفرها الإعلام القديم وهي التفاعل (Interactivity) وما بعد

التفاعل، والتفاعل هو قدرة وسيلة الاتصال الجديدة على الاستجابة لحديث المستخدم تماماً كما يحدث في عملية المحادثة بين شخصين. هذه الخاصية أضافت بعداً جديداً هاماً لأنماط وسائل الإعلام الجماهيري الحالية والتي تتكون في العادة من منتجات ذات اتجاه واحد يتم إرسالها من مصدر مركزي مثل الصحيفة أو قناة التلفزيون أو الراديو إلى المستهلك مع إمكانية اختيار مصادر المعلومات والتسلية التي يريدونها متى أرادها وبالشكل الذي يريده.⁽⁶⁾ في السابق كانت قدرة المستخدمين على التفاعل تقتصر على دائرة رجع الصدى للمحتوى المنشور على المواقع الإلكترونية عبر إضافة التعليقات وتدوين الملاحظات على سجلات الزوار مثلاً. ثم انتقلت بعد ذلك العلاقة إلى التحرر نسبياً مع وجود المنتديات ومجموعات الأخبار والقوائم البريدية، غير أنها لم تتح للجمهور حرية الممارسة الإعلامية المطلقة والتي لم تتوفر لهم إلا بعد ظهور المدونات وما تبعها بعد ذلك من ظهور لشبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الفيديو التشاركية كاليوتيوب والموسوعات الحرة مثل ويكيبيديا، وهذه المواقع تمثل عناصر الانتقال إلى مرحلة ما بعد التفاعلية. وتعتبر هذه المرحلة انقلاباً على نموذج الاتصال التقليدي، حيث أصبح بمقدور الفرد العادي إيصال رسالته إلى من يريد في الوقت الذي يريد بطريقة متعددة الاتجاهات وليس من أعلى إلى أسفل فقط، وفق النموذج الاتصالي القديم.

بالإضافة إلى ذلك فإن الإعلام الجديد يتميز أيضاً بالخصائص التالية:

1. تكنولوجيا الإعلام الجديد غيرت أيضاً بشكل أساسي من أنماط السلوك الخاصة بوسائل الاتصال من حيث تطلبها لدرجة عالية من الانتباه فالمستخدم يجب أن يقوم بعمل فاعل (active) يختار فيه المحتوى الذي يريد الحصول عليه. إن كثيراً من الأبحاث التي تدرس أنماط سلوك مستخدمي وسائل الإعلام الجماهيري توضح أن معظم أولئك لمستخدمين لا يلقون انتباهاً كبيراً لوسائل الإعلام التي يشاهدونها أو يسمعونها أو يقرؤونها كما أنهم لا يتعلمون الكثير منها، وفي واقع الأمر فإنهم يكتفون بجعل تلك الوسائل تمر مروراً سطحياً عليهم دون تركيز منهم لفحواها، فمشاهدي

التلفزيون مثلاً قد يقضون ساعات في متابعة برامج التلفزيون ولكنها غالباً ما تكون متابعة سلبية (Passive) بحيث لو سألتهم بعد ساعات بسيطة عن فحوى ما شاهدوه فإن قليلاً منهم سيتذكر ذلك. الإعلام الجديد من ناحية أخرى غير تلك العادات بتحقيقه لدرجة عالية من التفاعل بين المستخدم والوسيلة.

2. تكنولوجيا الإعلام الجديد أدت أيضاً إلى اندماج وسائل الإعلام المختلفة والتي كانت في الماضي وسائل مستقلة لا علاقة لكل منها بالأخرى بشكل ألغيت معه تلك الحدود الفاصلة بين تلك الوسائل. فجريدة "نيويورك تايمز" مثلاً أصبحت جريدة إلكترونية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فهي تستخدم الأقمار الصناعية لإرسال صفحاتها إلى عدة مراكز طباعة في نفس الوقت وتستخدم الكمبيوتر في كافة عملياتها بل أنه يمكن قراءتها مباشرة على الإنترنت (www.nytimes.com).

التلفزيون والإنترنت اندمجا أيضاً بشكل شبه كامل، فجهاز التلفزيون أصبح يستخدم لمشاهدة برامج التلفزيون وفي نفس الوقت الإبحار في الإنترنت وإرسال واستقبال رسائل البريد الإلكتروني كما أن جهاز الكمبيوتر أصبح بالإمكان استخدامه كجهاز استقبال لبرامج التلفزيون والراديو، شركات الكيبل التلفزيوني أصبحت تعتمد على الأقمار الصناعية في بث برامجها.

3. خاصية أخرى هامة لتكنولوجيا الإعلام الجديد هي أنها جعلت من حرية الإعلام حقيقة لا مفر منها. فالشبكة العنكبوتية العالمية مثلاً جعلت بإمكان أي شخص لديه ارتباط بالإنترنت أن يصبح ناشراً وأن يوصل رسالته إلى جميع أنحاء العالم بتكلفة لا تذكر، هناك أيضاً على الإنترنت عشرات الآلاف من مجموعات الأخبار التي يمكن لمستخدميها مناقشة أي موضوع يخطر على بالهم مع عدد غير محدود من المستخدمين الآخرين في أنحاء متفرقة من العالم، كما أن شبكات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب والمدونات إضافة إلى انتشار أجهزة الهواتف الذكية المزودة بالكاميرات الرقمية والقدرة على الارتباط بالإنترنت من أي

مكان أدت إلى رفع سقف حرية التعبير والحصول على المعلومة والقدرة على الاتصال بشكل غير مسبوق.

4. الإعلام الجديد هو إعلام متعدد الوسائط حيث أنه أحدث ثورة نوعية في المحتوى الاتصالي الذي يتضمن على مزيج من النصوص والصور وملفات الصوت والفيديو، هذا المحتوى متعدد الوسائط انتشر بشكل هائل خلال السنوات الماضية بشكل خاص عبر ما يعرف بصحافة المواطن وكان له تأثيرات اجتماعية وسياسية وتجارية كبيرة تستلزم التدبر والدراسة.

5. تفتتت الجماهير (media fragmentation) ويقصد بذلك زيادة وتعدد الخيارات أمام مستهلكي وسائل الإعلام والذين أصبح وقتهم موزعاً بين العديد من الوسائل مثل المواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعية والهواتف الذكية وألعاب الفيديو الإلكترونية بجانب الوسائل التقليدية من صحف وإذاعة وتلفزيون.

6. غياب التزامنية: ويقصد به عدم الحاجة لوجود المرسل والمتلقي في نفس الوقت، فالمتلقي بإمكانه الحصول على المحتوى في أي وقت يريد.

7. الانتشار وعالمية الوصول: ويقصد بالانتشار شيوعه ووصوله إلى جميع شرائح المجتمع تقريباً، إضافة إلى عالميته وقدرته على تجاوز الحدود الجغرافية.

8. قابلية التواصل بصرف النظر عن مواصفات ومقاييس المنشئ للمحتوى.

رابعاً: دور الإعلام الجديد في الحراك السياسي في الوطن العربي:

وعن الدور الفاعل لشبكات الانترنت يرى (محسن الخضيرى) أن هذه الشبكات تمارس دور رئيسي في توحيد العالم وزيادة ترابطه واتصاله وتوفير عناصر الفورية والجاهزية والحضور والإتاحة، فقد ساعدت الانترنت على جعل العولمة مادية ملموسة، وتمد خبراء التسويق والإعلام والبيع الإلكتروني بمزيد من الأفكار وتسريع اللحظة الراهنة.

لقد أحدث الانترنت، بوصفه العنصر الرئيسي في المنظومة الإعلامية والتكنولوجية، تغييرات بنيوية في خريطة الإعلام بشكل عام، وفسح المجال بقيام تعددية إعلامية افتراضية، وبدأ ينظر إلى الاتصال الإلكتروني على أنه صيرورة تفاوض، موضوعها المعنى تشارك فيه المجموعات عن طريق التواصل اللامتناهي، فهي نهاية الجغرافيا وترسيخ قيم عالمية جديدة والانتقال من القبيلة الضيقة إلى القبيلة البشرية الكبرى، وهي الملاذ الوحيد الواسع لديمقراطية المعرفة في الأمكنة والأزمنة كلها ومن دون قيود، وقد باتت الانترنت من الوسائل الناجحة لتحقيق نزعات القوى الدولية نحو العالمية أو الكونية.

لقد بدأ العصر يوصف بأنه عصر الانترنت للأثر الكبير الذي تركته هذه الشبكة على واقع الإنسان وقد اعتبرها البعض أعظم ثورة بعد الثورة الصناعية، فيطلق الدكتور (أجقو علي) على الانترنت بأنها ثورة ثقافية وليس مجرد تقنية، حيث يرى أن من بين الاستخدامات التي برزت بشكل كبير منذ بداية ما يمكن تسميته (عولمة الانترنت) ما قامت به وسائل الإعلام المختلفة والتي استطاعت الاستفادة بدرجات متفاوتة من إمكانيات الوسيلة التكنولوجية.⁽⁷⁾

بلغ عدد مستخدمي شبكة الانترنت حول العالم حوالي (2.1 مليار) مستخدم حسب آخر إحصائيات صادرة عن موقع Internet World وتضاعف عدد مستخدمي الأنترنت في العالم العربي بنسبة 1200 % خلال ثمان سنوات، ووصل أعداد حسابات البريد الإلكتروني (3.146) حساب بريدي و(555) موقع إلكتروني تم تصميمه سنة 2011 وحدها.

لقد بشر بعض الباحثين بأن الأنترنت سيحقق ديمقراطية بما لم يتوفر سابقا له وسيحقق عدالة اجتماعية من خلال هذه المعرفة المتاحة للجميع بدون استثناء، وعلى النقيض من ذلك هناك من يرى أن الأنترنت يزيد من حدة الاستقطاب الاجتماعي بين من يملك ومن لا يملك ، وسيؤدي إلى ظهور نخبة جديدة تجمع بين القوة المادية لرأس المال والقوة الرمزية المتمثلة في المعلومات، بعد أن أدركت القوى الرأسمالية التقليدية المغزى الاقتصادي للموارد الرمزية وفقا لقانون العرض والطلب.(8)

وفي تحليل سوسيولوجي لأبعاد وجود شبكات الأنترنت وانعكاساتها المباشرة على المجتمعات المحلية يشير عدد من الباحثين إلى أنه مع تحول ثورة الاتصالات إلى الرقمنة فإنها تعد بتغيير بعيد المدى عالميا ووطنيا ومحليا، فهي تربط كل شيء بكل شيء، خالقة مجتمعا شبكيا يفرض تحولات معقدة ومتناقضة هي(9):

- اللامركزية مقابل إعادة المركزية: فقد حلت محل الحدود الاقتصادية القديمة التي كانت موجودة حول الدول مراكز جديدة للقوة، فالشركات المتعددة الجنسيات وبفضل الاتصالات السريعة والتوحيد القياسي للمهام استطاعت تنسيق عملياتها على نطاق واسع حول العالم، وهي تعمل في ساحة تتجاوز الولاية القضائية لأي بلد.
- التقنيات مقابل الاندماج: فالوجود التقليدي لمجتمعات وطنية يخترقه الآن نشوء مجتمعات موصولة شبكيا تجمعها القضية أو المصالح، فتستطيع تلك المجتمعات أن تحشد استجابات فورية لأصوات كانت في السابق صامتة على المسرح العالمي، بالتالي مجتمعات أكثر تقاربا.

لقد صدرت عدة دعوات من عدة جهات يذهبون إلى أن شبكة الانترنت وما تنقله من معلومات عبر الحدود ستكون كفيلا بإسقاط النظم الدكتاتورية والاستبدادية ، وأن تزايد استخدام الانترنت كوسيط إعلامي جعلها في مقدمة القوى المسيطرة في عالم العولمة الجديد، ويظهر ذلك من خلال كونها فرضت نفسها إعلاميا ، فهي بجانب كونها شبكة الشبكات

فهي بالقدر ذاته -وسيط الوسائط-الاتصالية بلا منازع ، وتتجلى عظمة هذا الوسيط الإعلامي في قدرته على احتواء الوسائط الأخرى كمصادر للمحتوى بالنسبة له وفي هذا الصدد يقول الدكتور (نبيل علي) "وبينما كانت عظمة التلفزيون في احتوائه الراديو ، تقوم عظمة الانترنت على احتوائها الصحافة والإذاعة والتلفزيون والبحث عن المعلومات ، ولا يستقيم اليوم حديث في شأن الاعلام والاتصال دون تناول القضايا العديدة التي تطرحها الانترنت كوسيط اعلامي".

أما عن الإعلام الاجتماعي ودوره فحتى وقت قريب اقتصر آراء الباحثين حول ما أثير عن الإمكانيات الواعدة لشبكات التواصل الاجتماعي على التنظير لعصر العولمة، بما في ذلك قدرتها على التأثير على نماذج الحوكمة التشاركية والمشاركة المدنية الشعبية وإنشاء قوى اجتماعية متضامنة ومشاركة وخلق فرص جديدة لتقريب وجهات النظر العالمية، فقد نجحت أدوات الإعلام الاجتماعي في الوقت الراهن في الدمج بين الهويات الافتراضية عبر شبكات الأنترنت، ويحتل موقع فيسبوك الصدارة كأكثر أدوات التواصل الاجتماعي شيوعا في المنطقة العربية وموقع تويتر الذي يمثل إحدى منصات التواصل الاجتماعي الأخرى التي كان لها قوة مؤثرة على عدة مستويات، فقد أخذت شعبية وسائل الإعلام الاجتماعي تتزايد خلال الربع الأول من عام 2011 واتسعت قاعدة مستخدمي فيسبوك وتويتر اتساعا كبيرا ليتجاوز عدد مستخدمي فيسبوك 677 مليون مستخدم في أبريل من العام ذاته وكانت منطقة الشرق الأوسط من بين المناطق التي كان لها نصيب الأسد من حيث عدد المستخدمين الجدد، كما تجاوز عدد مستخدمي تويتر 200 مليون في نهاية مارس من العام ذاته ليصل عدد التغريدات التي يرسلها المستخدمين أربعة مليارات تغريدة شهريا.

زاد انتشار استخدام فيسبوك وتويتر في المنطقة العربية بمعدل أسرع في الشهور الأولى من عام 2011 مقارنة بعام 2010 وبلغت نسبة الزيادة 29% في الشهور الثلاثة الأولى من عام 2011 مقابل 18% خلال نفس الفترة من عام 2010.

وأظهرت دراسة إقليمية حديثة توسّع وانتشار قاعدة مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي في المنطقة العربية، وقدرت دراسة ارتفاع عدد مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي الرئيسية على شبكة الإنترنت (فيسبوك، تويتر، لينكد إن) ليسجّل ما مجموعه 70.3 مليون مستخدم عربي حتى منتصف العام 2012، حسبما نشرت صحيفة الغد الأردنية، وكان عدد المستخدمين العرب للشبكات الثلاث يبلغ 52 مليون مشترك في نهاية النصف الأول من العام 2011 ما يعني أن العدد ارتفع بنسبة 35% خلال 12 شهراً.⁽¹⁰⁾

وشهدت شبكات التواصل الاجتماعي خلال السنوات الثلاث الماضية طفرة غير مسبوقة في المنطقة، وذلك مع توفيرها منصات لنقل الأخبار وبنها من قلب الحدث والتعبير عن الآراء ومشاركة المعارف والأصدقاء الأحداث وللتواصل الاجتماعي والمهني.

وكان لأحداث ما يُعرف بـ (الربيع العربي) في عدد من البلدان العربية الأثر الكبير في زيادة مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي لا سيّما فيسبوك وتويتر التي لعبت دوراً مهماً في تناقل الأخبار وتبادل الآراء والتحميد في مواجهة عدد من الأنظمة العربية.⁽¹¹⁾

لقد ساهمت وسائل الإعلام الاجتماعي في تصاعد وتيرة العولمة، فكل التقارير تطرح أدلة مبنية على أبحاث تجريبية تشير إلى نمو وسائل الإعلام الاجتماعي في المنطقة العربية خاصة، والتي لعبت دوراً مهماً في حشد الجماهير والمجتمعات وتشكيل الرأي العام العالمي الموحد اتجاه القضايا الدولية والمحلية.

إن نشوء هذا الفضاء الجديد من الحرية أسهم في التحول النوعي الذي طرأ على استخدام الشبكات الاجتماعية على الإنترنت، من كونها أداة للترفيه، والتواصل، إلى أداة للتنظيم والتنظيم والقيادة، ثم إلى وسيلة فعّالة لنقل الحدث، ومتابعة الميدان، ومصدراً أولياً لوسائل الإعلام العالمية.

صحيح أن الإعلام وحده لا يصنع التغيير، وأن التغيير هو نتاج إرادة عامة، يحركها دافع الناس الطبيعي نحو هذا التغيير، والإعلام إنما هو أداة من مجموعة أدوات. ويقول ميشيل فوكو إن الثورة الإيرانية انتشرت بشريط الكاسيت، ولم يقل إن شريط الكاسيت "الذي كان في حينه إعلاماً بديلاً" هو الذي صنع الثورة! لذلك إن هذه الإرادة بدون وسائل الإعلام الجديد قد لا تساوي شيئاً، والعكس صحيح، فما جرى هو نتاج عوامل تفاعلت مع بعضها لتنتج لنا تغييراً بأسلوب لم يعهده عالمنا العربي من قبل، وغير أنماط حياتهم، مضافاً عليها مزيداً من التفاعل، والتواصل. فهل من سبيل إلى جهد منظم، لتوظيفه من أجل قضيتنا العادلة كما يفعل أعداؤنا من أجل قضاياهم غير العادلة.

وأصبحنا بفضل هذه الثورة أمام إعلام جديد لا يحتاج إلى أي رأس مال، كل رأس مالك هو هاتفك النقال وكاميرا وحاسوب، ولا يمكن لإعلام الجديد الاستغناء عن الإعلام التقليدي وأنه لن يتحقق له الراجح إلا إذا استخدمه الإعلام التقليدي وأشار إليه ونقل عنه، فالكثير من الأحداث كان السبق فيها للمدونين أو لبعض المواقع الإلكترونية. ويعتقد الكثيرون أن الإعلام الجديد هو الإعلام القادم، فالكثير من التلفزيونات اليوم يمكن توقف بثها المباشر وتعرض خدماتها على الإنترنت، وأصبح الكثير من القنوات التلفزيونية لديها حسابات مثلاً على الـ YouTube و الـ Facebook و الـ Twitter.

وعند ظهور مواقع التواصل، فقد استعملت، كأداة للطرح السياسي، وذلك لعدم وجود إعلام محايد أو مؤسسات للمجتمع المدني أو نشاط سياسي في الشارع العربي، ولكن هناك مبالغة في الدور الفعلي لمواقع التواصل في تغيير واقع السياسة، وإن دور أعضاء مجموعات فايسبوك أو المشاركين هو في غالب الأحيان رمزي، ولا يتعدى حدود الشكليات. لذلك، فإن النشاط السياسي في الإنترنت لا يترجم بالضرورة إلى تغيير أو نشاط سياسي فعلي في الشارع العربي. وبالرغم من النشاط الكبير على الإنترنت في مصر، إلا أن التغيير السياسي

الحقيقي لم يولد في الانترنت، بل تولد في الشارع، وجاء الإعلام الجديد مكملا له، وهذا بسبب الأمية التي تعاني منها الشعوب العربية. (12)

وقام الإعلام الجديد بدور ملموس في حشد وتوجيه المتظاهرين، لكنه لم يكن مفصليا في تسيير الأحداث. في مصر، استمرت المظاهرات بشكل كبير بعد قطع خدمات الانترنت. وكذلك، في اليمن، يقتصر عدد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي على عدد صغير، لا يواكب حجم الأحداث في الشارع اليمني، لذلك، فإن حشد المتظاهرين وتوجيههم لم يتم بشكل اساس عن طريق الاعلام الجديد، ولكن نقطة الاتفاق الرئيس هي عن دور الإعلام الجديد في إيصال صوت الشارع العربي الى أنحاء العالم، من دون شك، كان لأفلام يوتيوب "والنشاط التويتري" دور كبير في حشد الاهتمام الدولي لقضايا الاستبداد في بعض دول العالم العربي.

ولا يزال دور الحكومات العربية في الاعلام الجديد غامضا، وقد يؤدي وجودها في مواقع التواصل الاجتماعي الى تغيير شكل المداولات السياسية، ففي المستقبل القريب، اذا كان هناك توظيف مثالي من قبل الحكومات العربية فسيكون هناك وجه آخر مختلف تماماً للإعلام عما نعيشه اليوم، وفي حال انخراط الناشطين في مؤسسات المجتمع المدني، فإن الطرح السياسي على تويتر وغيره سيصل الى مرحلة اكبر من النضج الفكري. سيؤسس المجتمع المدني الى خطاب سياسي جديد وسيكون له أثر في المداولات القائمة اليوم على مواقع التواصل الاجتماعي.

والإعلام الجديد هو باختصار مرحلة انتقالية من الركود إلى الوعي السياسي، وبالتأكيد مرحلة انتقالية في تغيير شكل الحكومات العربية والمجتمع المدني، لذلك، فإننا قد نرى في المستقبل القريب ركودا سياسيا ، يعوض عنه بنشاط حقيقي في منظمات المجتمع المدني والعملية السياسية.

جيل التغيير هو ما يصبوا إليه الشاب العربي، والذي سيقوم تدريجيا بالانتقال من الكتابة الشكلية على الانترنت إلى التأثير الحقيقي في العملية السياسية، عند حدوث ذلك، فإننا سنشهد تحولا من كون الإعلام الجديد منبرا سياسيا الى أداة اجتماعية، وسيجد الخطاب السياسي مساحة اكبر وتأثيرا أوضح.

وتتأتى القابلية للتغيير من المقدرة على ذلك، ومن الاستطاعة لإدراكه، أيا ما تكن المعوقات. ويجند الفرد كما الجماعة بموجبه، قدراتهما على العطاء والتضحية، حتى وإن تطلب الأمر لبلوغ ذلك، التسليم في الرزق أو الطموح أو الحياة، لأن المطلب أقوى بكثير. القابلية هنا لا تحتكم إلى مصلحة خاصة، فردية ومباشرة، ولا تنبني على تطلع لإدراك هذه المنفعة الذاتية أو تلك، مادية كانت أو رمزية. إنها مصلحة الجماعة والمجموعة.

وما أفرزته الأحداث الجديدة في منطقة الشرق الأوسط، والتي لم يجر توصيفها علميا بعد، هل هي ثورات شعبية، أم حركات تغيير، أم احتجاجات شعبية...تجاوزت الأطر الإيديولوجية لمثيلاتها سابقا، فما يحدث، نتج جراء اليأس الذي يصيب الشباب من أن الثروات المادية التي يملكها الحكام العرب، والتي يسخرها الغرب لصالح شعوبه، لم تأت بأي نفع على شعوبنا العربية، هذا اليأس المتراكم لا يحتاج إلى أي فكر ثوري يشد همم الناس بقدر ما يحتاج إلى مشاركة المختلفين في الرأي للمشاركة في الحال، وهذا ما ظهر واضحا أن المظاهرات التي جرت في تونس ومن بعدها في مصر وليبيا وسوريا... ألغت عمليا مفهوم الطوائف والديانات والفئات القومية، وأعطت مثلا أن مثل هذه التقسيمات هي من صنع السياسيين وليس من صنع الواقع العربي.

رغم المؤاخذات والتحفظات التي يمكن إبدائها حول مدى استقلالية هذه الوسائل وحول تعاملها الانتقائي مع أحداث الحراك السياسي في المنطقة ، فإنه لا يمكن إغفال الجانب الإيجابي منه كاستغلال فضاء الحرية الذي بزغ في المنطقة بعد سقوط الأنظمة التسلطية

وإعادة تشكيل منظومة الإعلام كليا بما يتماشى وتطلعات شعوب المنطقة، مع الحذر من استغلال بعض الأطراف المحسوبة على الأنظمة السابقة على استقطاب البعض من هؤلاء و دعمهم، ففي مصر على سبيل المثال لا الحصر، مازالت حالة الاستقطاب بين الرئيس وجماعته والمعارضة وأنصارها، عبر وسائل الإعلام جارية إلى الآن.

إن الدور الوظيفي للعمليات الإعلامية الجارية في المجتمع يواجه تحديات خطيرة، لأن الوضع السياسي الراهن في الوطن العربي مرشح للدخول في أزمت جديدة بفعل تراكم عدد من السلبيات والأخطاء التي من شأن استمرارها تلغيم مسار الحراك السياسي بما هو الطريق السلمي للتحرك من الوصاية الدولية واستعادة القرار الوطني المستقل وبناء الدولة المدنية الحديثة، الأمر الذي يتطلب حشد الرأي العام حول القضايا الأساسية دون الدخول في أتون النزاعات الطائفية والحزبية والمذهبية، والابتعاد عن الخطاب السياسي والإعلامي القائم على النزعات الانتقامية والمكابدات السياسية والحزبية وتشويه الحقائق والتحريض ضد الآخر.⁽¹³⁾ بالإضافة إلى ذلك تزايد مخاطر تسلل التمويل السياسي الداخلي والخارجي الذي يفقد الممارسة الإعلامية استقلاليتها، ويضعها تحت طائلة الارتهان الداخلي والخارجي وضعف فعالية الأطر القانونية الرهنة لتنظيم الممارسة الإعلامية سواء من حيث الضوابط أو من حيث التطبيق وما يترتب على ذلك من توسيع الفجوة بين الأداء الإعلامي من جهة، والبيئة السياسية الرهنة من جهة أخرى.⁽¹⁴⁾

لم تعد "وسائل الإعلام الجديدة" وسائل إعلام فقط، إنها لاعب أساسي بصدد تغيير شؤون العالم على أكثر من صعيد، وإذا كنا قد عرضنا دور الإعلام الجديد في تحريك الثورات العربية، فإن دوره لا يقتصر أبداً على المجال الثوري والسياسي، بل يطاول كل الجوانب الحياتية من اجتماعية واقتصادية وثقافية.

خامسا: خلاصة واستنتاجات:

في النهاية يمكننا القول بأن وسائل الإعلام الجديدة قد أسهمت في رفع مستوى الوعي لدى الشعوب، وتأكيدا من أنها هي مصدر الشرعية، تمنحها لمن تشاء وتزيحها متى بدا لها ذلك. وأن هذه الشبكات قد أفرزت قيما جديدة، لعل أهمها بالمطلق القبول بالآخر في تنوعه واختلافه وتباينه، مادامت المطالب موحدة والمصير مشترك. ويمكننا القول بالمحصلة، إن هذه الشبكات أبانت بأن ثمة شعوبا حية وبقظة، حتى وإن خضعت لعقود من الظلم والاستبداد.

ومن خلال ماسبق نصل الى النتائج التالية:

- 1- الإعلام الجديد وسيلة يستخدمها من يشاء، لنشر الأخبار والآراء بشكل مكتوب أو مسموع أو مرئي، "متعدد الوسائط".
- 2- كانت بداية الإعلام الجديد أو شبكات التواصل الاجتماعي الدردشة وتفرغ الشحنات العاطفية، ومن ثم أصبح الشباب يتبادلون وجهات النظر الثقافية والأدبية والسياسية.
- 3- لا يمثل الإعلام الجديد العامل الأساس للتغيير في المجتمع، لكنه أصبح عامل مهم في تهيئة متطلبات التغيير عن طريق تكوين الوعي.
- 4- أنها فضاءات مفتوحة للتمرد والثورة - بداية من التمرد على الخجل والانطواء وانتهاء بالثورة على الأنظمة السياسية.
- 5- تتشكل الأجندة الإعلامية لمواقع التواصل الاجتماعي، عن طريق الأحداث البارزة التي تفرض نفسها.
- 6- ان التغيير السياسي الحقيقي لم يولد في الانترنت، بل تولد في الشارع، وجاء الاعلام الجديد مكمل له.
- 7- إن تخلف الديمقراطية وممارستها في الوطن العربي يعود إلى تخلف في فهم أوعية الديمقراطية ووسائطها في الفكر، ويؤدي هذا إلى نبذ انتشار الفكر وشيوعه وتداوله لأن التداول على السلطة ما هو إلا تداول على أفكار وتصورات ومناهج.

المراجع والهوامش:

(*) يعرف جوزيف ناي Joseph Nye القوة الناعمة على النحو التالي " هي في جوهرها قدرة أمة على التأثير في أمم أخرى وتوجيه خياراتها العامة وذلك استنادا إلى جاذبية نظامها الاجتماعي والثقافي ومنظومة قيمها ومؤسساتها بل الاعتماد على الاكراه والتهديد".

(1). رفيق عبد السلام، الولايات المتحدة الامريكية بين القوة الصلبة والقوة الناعمة، أوراق الجزيرة، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 2008.

(2). محمد أحمد النابلسي، دور الاعلام في دعم الثورة المصرية وثورات الفيسبوك، المركز العربي للدراسات المستقبلية، على الموقع:

<http://www.mostakbaliat.com/?p=34070>

(3). جون ألترمان، إعلام جديد: سياسة جديدة، ترجمة: عبد الله الكندي ، دار الكتاب الجامعي، غزة، 2003.

(4). رحيمة عيساني، الآثار الاجتماعية والثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية. الشباب الجامعي بالجزائر أنموذجا . أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2005/2006، الجزائر.

(5). عباس مصطفى صادق، "الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات"، عمان، دار الشروق، 2008.

(6). أولجا جوديس بيلي، بيلي كاميرتس، نيكوكارينتيير، "فهم الإعلام البديل"، ترجمة: علا أحمد إصلاح، القاهرة، مجموعة النيل العربية، 2009.

- (7). زياد حافظ، ثورة يناير في مصر: تساؤلات الحاضر والمستقبل، في عبد الإله بلقزيز، رياح التغيير في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، نوفمبر 2011، ص 25.
- (8). محمد المنصور، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين: دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية، رسالة ماجستير في الإعلام والاتصال، الأكاديمية العربية في الدانمارك، 2012.
- (9). انتصار ابراهيم وصفد حسام، الإعلام الجديد... تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، بغداد، 2011.
- (10). رجائي الميرغني، دور الإعلام في التحول الديمقراطي، ورقة عمل مقدمة لبرنامج " بناء القدرات والنهوض بالمعرفة لشباب الصحفيين الليبيين " 15/21 سبتمبر 2011، القاهرة.
- (11). تقرير المرشدين العرب، " قنوات التلفزيون الفضائية في العالم العربي 2012 "، 18 أبريل 2012 على موقع:
<http://www.arabadvisors.com/Convergence/schedule.htm>
- (12). نديم منصور، دور الإعلام التواصلي الجديد في تحريك الثورات، مجلة رأي، العدد 1670، مارس 2012.
- (13). خير الدين حسيب، حول الربيع الديمقراطي العربي، الدروس المستفادة، المستقبل العربي، العدد 386، أبريل 2011.
- (14). أمجد ناصر، المحلي والخارجي في الثورات العربية، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 88، خريف 2011.